

إلى ولدي

نصائح في الأخلاق والآداب الإسلاميّة



علي محمد علي دخيّل



دار الهادي

الى ولدي

نصائح في الاخلاق والآداب الاسلامية

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ ــ ٢٠٠٢ م





هاتف: ٥٥٠٤٨٧/ ٠١ ـ ٨٩٦٣٢٩/٠٣ ـ فاكس: ٥٤١١٩٩ ـ ص.ب: ٢٨٦/ ٢٥ غبيري ـ بيروت ـ لبنان

Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon

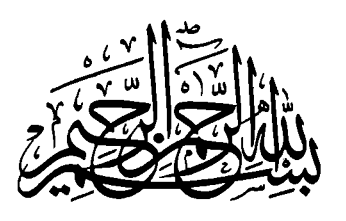
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

الى ولدي

نصائح في الاخلاق والآداب الاسلامية

علي محمد علي دخيل




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

اقتداء بسيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وعملاً بما رسمه العلماء رضوان الله عليهم، كتبت هذا الكتاب إلى ولدي (محمد تقي) ضمّنته نصائحي وتجاربي في الحياة، سائلاً المولى جلّ جلاله أن يوفّقه للأخذ بأحسنه، والعمل بأزكاه، إنّه سميع مجيب.

من أدب القرآن الكريم

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[1].

---

(١) سورة لقمان، الآيات: ١٣ ـ ١٩.

من وصية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى ولده الحسن عليه السلام

فإني أُوصيك بتقوى الله أي بنيّ ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله. وأيّ سبب أوثق من سبب بينك وبين الله إن أنت أخذت به؟

أحي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة، وقوّه باليقين. ونوّره بالحكمة، وذلله بذكر الموت، وقرّره بالفناء، وبصّره فجائع الدنيا، واعرض عليه أخبار الماضين، وذكّره بما أصاب من كان قبلك من الأولين، وسر في ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا وأين حلوا ونزلوا، فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبّة، وحلّوا ديار الغربة، وكأنّك عن قليل قد صرت كأحدهم. فأصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك. ودع القول فيما لا تعرف، والخطاب فيما

لم تكلف، وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالته فإن الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال. وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك، وجاهد في الله حق جهاده ولا تأخذك في الله لومة لائم. وخض الغمرات للحق حيث كان، وتفقّه في الدين، وعوّد نفسك التصبّر علىٰ المكروه ونعم الخلق التصبّر، والجىء نفسك في الأمور كلها إلى الٰهك فإنّك تلجئُها إلىٰ كهف حريز، ومانع عزيز. واخلص في المسألة لربّك فإنّ بيده العطاء والحرمان... الخ[1].

---

(١) نهج البلاغة ٣/ ٤٠.

التسمية

ولدي :

سمّيتك بهذا الاسم لما رأيت من موفقية المتسمين به، وأملت منه سبحانه وتعالى أن يوفّقك لتنهج نهجهم، وتقتفي آثارهم.

ولدي: إني أذّنت وصليت خلف أربعة من الأعلام ممن سمي بهذا الإسم، وهم: آية الله المغفور له السيد محمد تقي بحر العلوم طاب رمسه، وآية الله الشيخ محمد تقي الشيخ راضي، وحجة الإسلام الشيخ محمد تقي الجواهري، وحجة الإسلام الشيخ محمد تقي الايرواني، ولو لم يكن في الدنيا سوى السيد بحر العلوم طاب ثراه يحمل هذا الاسم لكفىٰ دليلاً على موفقيّته فقد جمع رحمه الله العلم والورع والتقى والخلق الرفيع والتواضع، فقد رأيت من كريم اخلاقه ونبل صفاته شبهاً بما ذكره المؤرخون

للأئمة صلوات الله عليهم.

وهناك يا ولدي الكثير ممن يحمل هذا الاسم من أهل العلم، ولكني ذكرت لك من أذّنت لهم، وصليت خلفهم.

وأسأل الله تعالى أن لا يخيّب ظنّي فيك ويجعلك تنهج نهج هؤلاء الكرام، ومن الله اسأل التوفيق.

المحافظة على الصلاة وأدائها في أوقاتها

وأنت سلّمك الله إذا تعوّدت من صغرك فعل الخير وداومت عليه رجوت لك من الله سبحانه وتعالى جزيل العطيّة وعظيم الثواب.

وليس من خير بعد التوحيد أعظم ثواباً من هذه الصلاة فحافظ عليها حفاظك على عينيك، أدّها في أوقاتها فقد ورد عن الصادقين عليهم السلام في ذلك:

١ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد وفيه ناس من أصحابه فقال: أتدرون ما قال ربّكم؟

قالوا: الله ورسوله أعلم

قال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ ربّكم يقول: هذه الصلوات الخمس المفروضات، من صلاهن لوقتهن، وحافظ عليهن لقيني يوم القيامة وله عندي عهد أدخله الجنة، ومن لم يصلهن

لوقتهن، ولم يحافظ عليهن فذاك إلي، إن شئت عذّبته، وإن شئت غفرت له[1].

٢ ـ وقال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ قال: هذه الفريضة، من صلاها لوقتها، عارفاً بحقّها، لا يؤثر عليها غيرها، كتب الله له براءة لا يعذّبه، ومن صلاها لغير وقتها، غير عارف بحقّها، مؤثراً عليها غيرها، كان ذلك إليه عزّ وجلّ، فإن شاء غفر له، وإن شاء عذّبه[2].

---

(١) أربعين الشهيد محمد بن مكي: الحديث السابع.

(٢) دعائم الإسلام: ١/ ١٣٥.

لا تسوّف الحج

بني: وليس من عبادةٍ كاداء الفرائض كما يقول إمامنا أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، والحج من أهم الفرائض الإسلامية، وركن من أركان الإسلام، ومن مات مستطيعاً ولم يحج مات يهودياً شاء أو نصرانياً ـ الحديث ـ.

وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام (حجّوا قبل أن لا تحجوا) لأن هناك محاذير كثيرة وموانع ربما تحصل للمستطيع المسوّف للحج، فقد يذهب ماله، أو تتدهور صحته وغيرها كثير.

ونصيحتي لك يا بني أن تحج في عام الاستطاعة، وأنا يا بني شاهدت أُناساً ملكوا الالوف الكثيرة، وعاشوا العمر الطبيعي وأكثر وماتوا دون أن يوفّقوا لأداء هذا الواجب العظيم.

ولا يفوتني يا بني أن أذّكر لك أن الكثير من عوام الناس، وانصاف المثقفين يعتقدون أنّ هناك شروط يجب توفّرها قبل الاستطاعة كشراء دار واثاث وغير ذلك مما لا يوجد في الشريعة، فإن قدّر لك أن ملكت قوت سنتك ونفقة الحج صرت مستطيعاً.

هذا لمن كان بلا عمل، أما من كان له عمل يدر عليه يوميّاً أو شهرياً فلا يحتاج إلى أن يملك قوت سنته، بل تحصل الاستطاعة بتوفّر نفقة الحج.

بني: إن وفقت للحج فاتقن قبل الذهاب مناسك الحج وأعماله وواجباته ومحرماته ومستحباته ومكروهاته، وإياك أن تذهب وأنت لا تعرف ماذا تعمل وتذكّر كلمة الفقيه الشيخ أحمد كاشف الغطاء قدس سره: أنه يلزمه التفقه فيه، فإنه كثير الأجزاء، جم المطالب، وافر المقاصد، وهو مع ذلك غير مأنوس وغير متكرر، وأكثر الناس يأتون على ضجر وملالة سفر وضيق وقت واشتغال قلب مع أن الناس لا يحسنون العبادات المتكررة اليومية مثل الطهارة والصلاة مع الفهم لها ومداومتهم عليها وكثرة العارفين بها، حتى أن الرجل منهم يمضي عليه الخمسون سنة والأكثر ولا يحسن

الوضوء فضلاً عن الصلاة فكيف بالحج الذي هو عبادة غريبة غير مألوفة لا عهد للمكلف بها مع كثرة مسائلها وتشعّب أحكامها، خصوصاً مع انضمام الطهارة والصلاة إليها[1].

ووصيتي الأخرى لك أن تستغل مكوثك في الحرمين بالعبادة من طواف وزيارة وصلاة وقراءة القرآن فقد ورد استحباب ختمه في مكة المكرمة ولا يشغلك التطواف في الأسواق عن العبادة لأنها فرصة العمر ولعلك لا توفّق لحجّة اخرىٰ أما البضائع فهي موجودة في كل بلد وفي كل وقت.

---

(١) قلائد الدرر: ص٤.

دفع الخمس والزكاة

يا بني احمد الله تعالىٰ الذي جعل دينك أفضل الأديان، وكتابك أفضل الكتب، ونبيك ﷺ أفضل الأنبياء، وائمتك أفضل الأئمة.

يا بني: اهتمّ دينك بالفقير اهتماماً عظيماً، وجعل له حقوقاً ثابتة في أموال الغني يجب عليه أن يؤدّيها له: فقد فرض الخمس والزكاة على المسلمين كضريبة عادلة توزع على الفقراء، وشدّد على منعهما ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾[1].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٥.

إن كتب الفقه والرسائل العملية بيّنت مقادير الخمس والزكاة والموارد التي يتعلقان بها والمستحقين لهما.

وإيّاك ثم إيّاك أن تبيت ليلة وعليك شيء من ذلك لم تخرجه لمستحقيه.

بُني: احببت أن أذكر لك هذه القصة: انّ العالم الرباني الشيخ جعفر التستري رحمة الله عليه، طلب منه أهل إيران في سفره الذي توفي فيه أن يصعد المنبر ويعظ، وكانت حالته الصحية لا تسمح بذلك ومع ذلك فقد استجاب.

قال رحمه الله: إن رجلاً ضاقت عليه سبل العيش فسافر إلى الهند للعمل تاركاً عياله في إيران، وحصل في الهند على عمل يوفر منه بعض الشيء، وبعد مدة التقى ببعض جيرانه في إيران واستفسر منه عن أهله وعياله، وطلب منه أن يعطيه مبلغاً من المال يعطيه لأهله، ولبى الرجل طلبه، فأعطاه مائة روبية[١] وقال له: خذ منها عشرين وادفع ثمانين إلى أهلي شرط أن تسلّمها لهم حين وصولك

(١) روبية: عملة هندية.

لأنهم في حاجة ماسة؛ واستقبح الرجل المؤتمن أن يأخذ العشرين، ولكن الحّ عليه فوافق نزولاً عند رغبته.

أخرج الرجل مائة روبية وسلّمها لجاره ثم قال له: إنَّ العشرين قليلة بحقّك فخذ أربعين وادفع الستين الباقية إلى أهلي.

قامت قيامة الرجل في الإنكار، لكن صاحب المال أصرّ على الأربعين، ونزولاً عند رغبته وافق المؤتمن على ذلك؛ ثم ما لبث غير هنيئة حتى قال: ادفع الأربعين إلى أهلي وخذ الستين أنت؛ فأخذ الرجل يبالغ في الاستنكار، ولكنّه رضخ للأمر الواقع، ولكن صاحب المال قال: ادفع عشرين روبية لأهلي وخذ أنت الثمانين، وأخذ عليه العهود والمواثيق في تسليم العشرين فور وصوله، وتعهّد له الرجل أن يوصلها إليهم حال وصوله البلد ولو في منتصف الليل.

قال الشيخ رحمه الله: ولكنه لم يدفع العشرين وأخذ المائة كاملة، ولم يدفع لعيال ذلك الشخص شيئاً.

فضجّ المجلس بأجمعه بالاستنكار، وعلا الصياح والدعاء على ذلك الشخص.

أمهل الشيخ الناس حتى إذا سكتوا قال: كلكم مثل هذا الرجل الخائن، فقد أوجب الله عليكم دفع عشرين من كل مائة تربحونها تفضل من مصروفاتكم ونفقاتكم فلماذا لا تمتثلون فكان أهل ذلك المجلس كنيام انتبهوا وغافلين تيقّضوا.

بني: وأحسب أن من أضرار تأخير الخمس والزكاة وعدم المبادرة بدفعها إلى مستحقيها هو تسويف الحج وتأجيله سنة بعد أخرى، لأن الأخماس تتراكم سنة بعد سنة فهو يرىٰ أنّ الذهاب إلى الحج يتطلب منه دفع حقوق الفقراء، فهو يترك الحج لأجل ذلك، فلو كان يدفعها في كل سنة لسهل عليه الحج.

بُني: أحببت أن لا تخلو وصيّتي إليك عن بعض الأحاديث الواردة عن الصادقين عليهم السلام في عقاب مانع الخمس والزكاة:

١ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: مانع الزكاة يطوق بحيّة قرعاء تأكل من دماغه، وذلك قول الله تعالىٰ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1].

---

(١) أمالي ابن الشيخ الطوسي ٧٤.

٢ ـ وعن محمد بن مسلم قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

قال: ما من عبد منع زكاة ماله إلاً جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوّقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب، وهو قول الله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وما بخلوا من الزكاة[1].

٣ ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من ذي زكاة مال ابل ولا بقر ولا غنم يمنع زكاة ماله إلاً أقيم يوم القيامة بقاع قفر ينطحه كل ذات قرن بقرنها، وينهشه كل ذات ناب بأنيابها، ويطأه كل ذات ظلف بظلفها، حتى يفرغ الله من حساب خلقه. وما من ذي زكاة نخل ولا زرع ولا كرم يمنع زكاة ماله إلاّ قلّدت أرضه في سبعة أرضين يطوّق بها يوم القيامة[2].

ومما جاء في عقاب مانع الخمس:

١ ـ سأل أبو بصير الإمام أبا جعفر الباقر عليه السلام: ما

---

(١) تفسير العياشي ١/ ٢٠٧.

(٢) تفسير العياشي ١/ ٢٠٧.

أيسر ما يدخل به الرجل النار؟

قال: من أكل من مال اليتيم درهماً، ونحن اليتيم[1].

٢ ـ ومن كتاب للإمام المهدي عليه السلام: ومن أكل من مالنا شيئاً فإنّما يأكل في بطنه ناراً وسيصلى سعيرا[2].

٣ ـ ومن كتاب له عليه السلام: بسم الله الرحمٰن الرحيم: لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من أكل من مالنا درهماً واحداً[3].

٤ ـ ومن كتاب له عليه السلام: وأمّا المتلبسون بأموالنا، فمن استحلّ منها شيئاً فأكله فإنّما يأكل النيران[4].

---

(١) وسائل الشيعة: ٦/ ٣٧٧.

(٢) المصدر: ٦/ ٣٧٧.

(٣) المصدر: ٦/ ٣٧٧.

(٤) المصدر: ٦/ ٣٨٣.

القرآن الكريم

أوصيك ولدي بكتاب ربك، ومعجزة نبيك ﷺ، وعزّك وفخرك وشرفك، فلا تضيّعه؛ الزم نفسك بقراءته يومياً بتدبّر وإمعان ليتسنىٰ لك اكتشاف جواهره، والاطلاع على خزائنه[1].

وبادر وأنت في بداية دراستك إلى تفسير العلامة السيد عبد الله شبر ونظائره من تفاسيرنا المختصرة لتطلع على معاني الكلمات، وبعد هذه المرحلة اقرأ تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي رحمه الله، إقرأه مرتين من البداية إلى النهاية ثم ارجع إليه بعد ذلك عند حاجتك فستجده كما تحب إن شاء الله.

---

(١) قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: آيات الله خزائن فكلّما فتحت خزينته ينبغي لك أن تنظر ما فيها. أصول الكافي ٢/ ٢٠٩. والمراد من الحديث التفكّر في كل آية يمر بها القارىء.

ولست أريد منك يا بني قراءة القرآن والاطلاع على تفسيره فحسب، بل أريد منك العمل به، تحلّل حلاله، وتحرّم حرامه، وتقيم احكامه، فقد ورد عنهم صلوات الله عليهم (رب قارىء للقرآن والقرآن يلعنه) ومعنى ذلك أنه يقرأ آيات الصلاة ولا يصلي ويقرأ آيات النهي عن الربا ويرابي، إلى غير ذلك.

إنّ الغرض من قراءة القرآن هو العمل به، فهناك يا بني الوف المثقفين من غير المسلمين يعكفون على دراسة القرآن وحفظه لاغراض مختلفة منهم لحصول ملكة الأدب والتقدم في صناعة البلاغة، كما جاء في وصية الشاعر المسيحي الكبير إبراهيم اليازجي لولديه:

إذا أردتما أن تصبحا كاتبين عظيمين فاسهرا الليالي في حفظ القرآن.

وهناك من يعكف على دراسته لاغراض علمية كالتعرف على الاشارات الواردة فيه لمختلف العلوم، وغيرهم لغايات اخرى، فيتّضح من هذا أو غيره أنّ القراءة وحدها بدون العمل غير مجدية، سددك الله للعمل بالقرآن وهو المستعان.

واحببت يا بني أن اختم هذا الفصل بهذا الحديث النبوي

الشريف قال ﷺ : فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، وماحل مصدق[1]، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار؛ وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له نجوم، وعلى نجومه نجوم[2] لا تحصى عجائبه، ولا تبلىٰ غرائبه، فيه مصابيح الهدى، ومنار الحكمة، ودليل علىٰ المعرفة، لمن عرف الصفة[3]، فليجل جال بصره، وليبلغ الصفة نظره، ينج عن عطب[4]، ويتخلص من نشب[5]، فإن التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلّص، وقلة التربّص[6].

---

(١) محل به: إذا سعى به إلى السلطان، والمعنى: أنّه يسعى بالتارك لأحكامه إلى الله تعالى.

(٢) له نجوم: أي آيات تدل على أحكام الله. وعلى نجومه نجوم: وفيه آيات تدل على هذه الآيات وتوضحها.

(٣) العطب: الهلاك.

(٤) النشب: الوقوع فيما لا مخلص منه.

(٥) التربص الانتظار.

(٦) الكافي: ٢/ ٥٩٩.

العقل

قال الإمام الصادق عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى بعث إلى آدم عليه السلام ثلاثة أشياء يختار منها واحداً: العقل والحياء والسخاء فاختار العقل فقال جبرئيل عليه السلام للحياء والسخاء: اعرجا فقالا: امرنا أن لا نفارق العقل[1].

ومن حديث له صلى الله عليه وآله وسلم إنّ أول خلق خلقه الله عزّ وجلّ العقل، فقال له أقبل فأقبل ثم قال له ادبر فأدبر فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحسن إلي منك، بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أُعاقب[2].

وأنا مؤمن يا ولدي أن العقل من منح المولىٰ جل شأنه فما معنى وصيتي لك بالاتصاف به؟

---

(١) الاختصاص ٢٣٨.

(٢) مكارم الأخلاق: ٢٥٤.

نعم، لا شك أنَّه من منحه جلّ اسمه ولكن لا يخفى عليك يا بني أنّ الله سبحانه وتعالى يفيض لطفه على من استعد له، فمثلاً العلم كما ورد في الحديث (نور يقذفه الله في قلب من يشاء)ولكن ليس معنى ذلك أن تنام جاهلاً وتصبح عالماً، بل عليك أن تبادر لطلبه، وتخلص النية في تعلمه وتعليمه والعمل به، ثم تجد من ربّك الكريم كل عون ومساعدة، وكذلك العقل فهناك دواعي كثيرة وموجبات للعقل كما أن دواعي الجهل ولاسيما ـ في مجتمعنا ـ كثيرة.

فأنت يا بني إذا تحريت من أوّل عمرك أعمال العقلاء واتصفت بالصفات الحميدة، وتخلقت بالأخلاق المرضية كنت خليقاً بأن يهب لك ربك عقلاً كبيراً، وبضدها تتميز الأشياء.

وأنا أذكر لك على سبيل المثال بعض الخصال الحميدة والتي أؤمّل منك الاتصاف بها لتقودك إلى طريق العقل.

١ ـ فكّر قبل كل عمل تقوم به، بل قبل كل كلمة تتكلم بها، فإن كانت مما يرضي الله سبحانه وتعالى فتكلم بها وإلاّ فالصمت.

٢ ـ ترك الجلوس في الأسواق فقد ورد عن

الصادقين عليهم السلام النهي عن ذلك.

٣ ـ ترك المزاح والضحك فإن ذلك مدعاة للسخريّة والحقارة، والحكمة (من ضحك ضحكة مجّ من عقله مجّة).

٤ ـ ترك الكلام الكثير فمن المستحيل أن تجد عاقلاً مهذاراً

٥ ـ ترك مجالس البطالين فانّها تقودك إلى الجهل.

بني إني رأيت بعض أهل العلم وغيرهم أنزلقوا بمزالق كان الأجدر بهم أن يتورعوا عنها وان تهافتهم كان بسبب نقص العقل لا غيره، وذكرتني يا بني هذه المشاهدات بالمرأة العظيمة (أم سلمة) فجل من كتب عنها وصفها بالعقل الراجح، وحقاً هي كما وصفوها فهي من محبتها للإمام عليه السلام ودفاعها عنه وسعيها المتواصل في احباط المؤامرة التي حيكت ضده عليه السلام في مكة، مع هذا كله لم تخرج مع الإمام عليه السلام، بل ترسل ولدها إلى الإمام عليه السلام بهذه الرسالة: (أمّا بعد فإنّ طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة، ومعهم عبد الله بن عامر بن كريز، ويذكرون أنّ عثمان قتل مظلوماً،

وأنهم يطلبون بدمه، والله كافيهم بحوله وقوته، ولولا ما نهانا الله عنه من الخروج، وأمرنا به من لزوم البيت لم أدع الخروج إليك، والنصرة لك ولكنّي باعثة نحوك ابني عدل نفسي، عمر بن أبي سلمة، فاستوص به يا أمير المؤمنين خيراً)[1].

(١) شرح نهج البلاغة: ٦/٢١٩.

طلب العلم

وأظن يا ولدي قد اتضح لك مما تقدم أن أملي بك أن تتجه لطلب العلم، وجميع الدراسات هي علم، فالطب علم والصيدلة علم والهندسة علم الخ ولكن العلم الذي أتوخّاه يا بني هو علم الشريعة، وحلال محمدﷺ وحرامه، وما يتطلب ذلك من مقدمات من لغة ومنطق وغيرهما.

ولدي: لا يمكن حصر الأحاديث الواردة عن الرسول الأعظمﷺ وعن أهل بيته الصادقينعليهم السلام في فضل طلب العلم والحث عليه، وبميسوري أن أجمع كتاباً ضخماً في ذلك، وقد اكتفيت في كتابي هذا لك بذكر قسم يسير منها سجلتها من أصح الكتب وأوثقها.

١ ـ قال رسول اللهﷺ: تعلموا العلم فإنّ تعلمه حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال

والحرام، وسالك بطالبه سبيل الجنة، وهو أنيس في الوحشة، وصاحب في الوحدة، ودليل على السرّاء والضرّاء، وسلاح على الأعداء، وزين للاخلاء، يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير ائمة يقتدى بهم، ترمق أعمالهم، وتقتبس آثارهم، وترغب الملائكة في خلتهم، يمسحونهم في صلاتهم باجنحتهم، ويستغفر لهم كل شيء حتى حيتان البحور وهوامها، وسباع البر وانعامها، لأن العلم حياة القلوب، ونور الأبصار من العمىٰ، وقوة الأبدان من الضعف، ينزل الله حامله منازل الاخيار، ويمنحه مجالس الأبرار في الدنيا والآخرة. بالعلم يطاع الله ويعبد، وبالعلم يعرف الله ويؤخذ، وبالعلم توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، والعلم إمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه الله السعداء، ويحرمه الأشقياء[1].

٢ ـ ومن حديث للإمام زين العابدين عليه السلام: إن طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجله علىٰ رطب ولا يابس من الأرض إلا سبّحت له إلى الأرضين السابعة[2].

---

(١) الخصال: ٤٩٢.

(٢) الخصال: ٤٨٨.

٣ ـ وقال الإمام الصادق عليه السلام: تنازعوا في طلب العلم، فوالذي نفسي بيده لحديث واحد في حلال وحرام تأخذه عن صادق خير من الدنيا وما حملت من ذهب وفضة، وذلك أن الله عز وجل يقول: ﴿**ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[١].

٤ ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع اجنحتها لطلب العلم رضى به، وإنه يستغفر لطالب العلم من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحوت في البحر؛ وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وان العلماء ورثة الأنبياء[٢].

٥ ـ وقال الإمام الباقر عليه السلام: ما من عبد يغدو في طلب العلم أو يروح الا خاض الرحمة، وهتفت به الملائكة: مرحباً بزائر الله، وسالك من الجنة مثل ذلك المسلك[٣].

---

(١) السرائر ـ باب المستطرفات.

(٢) ثواب الأعمال: ١٣١.

(٣) ثواب الأعمال: ١٣١.

٦ ـ وقال أمير المؤمنين عليه السلام : الشاخص في طلب العلم كالمجاهد في سبيل الله، إنّ طلب العلم فريضة على كل مسلم، وكم من مؤمن يخرج من منزله في طلب العلم فلا يرجع إلا مغفورا[١].

ولدي: اعط العلم كلك يعطك بعضه ـ الحديث ـ فاتجه له بكل طاقاتك، واسأل ربّك المعونة والمساعدة، فما أكثر المتزينين بزي أهل العلم وهم أفرغ من فؤاد أم موسى، واعيذك بالله أن تكون كذلك، فموظف نزيه، أو كاسب أمين، وعامل مؤتمن، وفلاح ديّن أفضل من هؤلاء البطالين، فبالله أعيذك أن تكون منهم.

بني: حسب خبرتي بأهل العلم اسجل لك هذه النصائح:

١ ـ اختيار الاساتذة المجيدين والمتدينين، فإذا وفقت لذلك فهي السعادة الكبرى.

٢ ـ تحضير الدرس قبل الحضور إليه، ومراجعته، ثم كتابته بعد ذلك.

---

(١) روضة الواعظين: ١/ ١٠.

٣ ـ عدم الانتقال من كتاب إلى كتاب، ومن مرحلة إلى مرحلة إلاّ بعد الاتقان، فرب طالب في المرحلة الثالثة ـ حضور الأبحاث العالية ـ وهو أقل مستوى من بعض طلاب المرحلة الأولىٰ (السطوح)[١]، ثم يلحق به أهل المرحلة الأولىٰ ويتفوقون عليه.

بني تحمّل الفقر فربما لصق ببعض أهل العلم، فالفقر مع العلم خير من الغنى مع الجهل، وهو يا بني شعار الصالحين.

فإذا كنت يا بني من هؤلاء البعض فاجعل العزَّة شعارك فهي لله ولرسوله وللمؤمنين، ولا تذل نفسك، وحتى المراجع الذين هم بمنزلة الآباء لاهل العلم فإني احذّرك عن مسائلتهم ومراجعتهم، بل تكتفي بالمقرر المرسوم من قبلهم لطالب العلم إن لم تكن لك وسيلة غيرها.

واعلم يا بني بأنّ الله سبحانه وتعالى لا يهمل دودة عمياء في صخرة صماء في قاع البحر فكيف يهملك، وتذكر

(١) السطوح: اصطلاح على المرحلة الأولية لطالب العلم وهي تشمل النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق وأول كتب الفقه والأصول.

يا بني أن الفقر لا يدوم كما أن الغنى لا يدوم، فسبحان مقلب الأحوال، فكم شاهدنا من فقير صار غنيّاً، وغنيّاً أصبح فقيراً، فاجعل طلبك إليه وحده فهو يكفيك أمرك، صانع يا بني وجهاً يكفيك الوجوه ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[1].

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

التأليف

ولدي: أنا احثك على التأليف، فخير المخلفات المؤلفات، وهي من الباقيات الصالحات التي لا ينقطع ثوابها، ويستمر خيرها واني أدعوك إلى المبادرة لهذا المغنم وأنت في بداية الطريق ومقتبل العمر، لا تؤجل ذلك ريثما تصبح عالماً فإنّي وجدت بعض الأكابر خلواً من هذا الخير، والسبب أنهم تركوا ذلك في بداية حياتهم فعجزوا عن الاستدراك في شيخوختهم لانشغالهم أولاً، ولأنهم لم يتعوّده، أو لأنهم لم يتمكنّوا من أن يكتبوا ما يناسب مقامهم. وقد ذكر عن المجدد الشيرازي طاب ثراه قوله وقد سئل عن السبب الذي عاقه عن التأليف فقال: جيده أباني ورديئه أبيته.

فإذا تعوَّدت ذلك وأنت في بداية الطريق لعلك قد توفّق في النهاية إلى كتابة جيدة، وليس المهم ـ فيما أحسب ـ أن

تكتب مثل الغدير والمراجعات ـ بل يكفي أن تكتب ما يتمشىٰ وخط الإسلام، وفي سبيل الله، والله سبحانه وتعالى يثيب على حسن النية وطيب القصد، والجودة عنده ما اقترن بالاخلاص وحسن النوايا.

بني: وحسب خبرتي في التأليف أنهاك أن تزج نفسك في الكتابة في موضع فيه أخذ ورد، فإني في كتاباتي عن الأئمة عليهم السلام كنت أترك بعض الأحاديث وغيرها التي هي قابله للنقد، واسجل ما أجمع عليه أهل السير، وأيّده العقل، ولذا ولله الحمد سلمت من النقد بل اطراها الكثير من أهل العلم والفضل والحمد والمنّة لله ربّ العالمين.

واعلم أنّ زلة القلم أعظم من زلة القدم، لهذا ينبغي التأكد من الكتابة وأذكر لك: جاء في الكتاب الأول من كتب الأئمة عليهم السلام بحث مبسّط في الإمامة، خفت فيه أن أقع في هفوة، أو أشذ بكلمة، فقرأته على اثنين من أهل العلم قبل تقديمه للطبع، لأنّي وجدت بعض الاجلاء كبا في بعض كتابته واسأل الله لي ولك التسديد.

بُني: لا تستنكف من اطلاع غيرك على كتابتك، فربما قرأت كتابتي على من هم أقل مني، فقد جعل الله سبحانه

وتعالى العلم في العالم.

واوصيك يا بني بالاستعانة بالصبر في موضوع التأليف، وأنت بغيره لن تستطيع أن تحقّق شيئاً، فرب كلمة واحدة أردت تثبيتها في مكانها أو الاتيان بغيرها فتستعصي عليّ وقتاً ليس بالقليل، وكلما ازداد صبرك، قوي استنباطك، وحسن تأليفك، وها هي المؤلفات العظام وقد استنفدت من مؤلفيها عشرات السنين.

المرجعية

وأنا يا بني أطلب منك أن تكون عالماً كبيراً ولكن لا احثك على السعي لتحصيل المرجعية لأن فيها متاعب كثيرة، ولا آمن عليك الزلل عن الطريق المستقيم وفي ذلك الطامة الكبرىٰ، ثم بسعيك لها تحتاج إلىٰ مجاملة من أنت في غنىٰ عن مجاملته ومعاداة من أنت غير محتاج لمعاداته.

اترك السعي لتحصيلها وإن هي أتتك اعتباطاً كما حدث لكثير من اعلام الطائفة كالشيخ مرتضى الأنصاري، والمجدد الشيرازي تغمدهما الله برحمته وغيرهما كثير.

فإن شاء المولىٰ سبحانه وتعالى أن يرجع المسلمين إليك فشمّر لها ساعد الجد، وتقبّلها بأحسن القبول، ولا اخشىٰ حينئذ عليك إلا من اثنين: الحكام أن يسرقوا منك دينك، والبطانة تبتزك أموال المسلمين، وكل من هذين العدوين خبير بعمله، يحسن التصرف لمصلحته، وخلفهما

الشيطان يحسن لك مداهنة الظالمين، زاعماً لك أنَّ في ذلك قضاء حوائج الناس، وتمشية أمور المسلمين وارشاد الحكام أنفسهم، والله يا بني لا يطاع من حيث يعصىٰ، وأنا اكتفي لك بنقل هذه القصة عن هذين العالمين الكبيرين: السيد محمد صاحب المدارك، والشيخ حسن صاحب المعالم وناهيك بهما من عالمين عظيمين، رفع الله درجتهما، فقد ذهبا لزيارة الإمام الرضا عليه السلام وعند وصولهما إلى (كرمانشاه) علما بأن الشاه سوف يزورهما عند وصولهما العاصمة، وأنه لا بد لهما من ارجاع الزيارة، فتذاكرا رحمهما الله في ذلك وقررا الرجوع، لأن المستحب قد عارضه محرم، وهو زيارة السلطان، فرجعا من كرمانشاه.

أضف إلى ذلك يا بني أن العالم إذا صانع الظالمين ومدّ يده إليهم سقط من أعين الناس، وأنا رأيت ممن صانع الطغاة بعض المصانعة وكيف سقط من أعين الناس، واستمر به الخفض حتى بعد الموت فقلّ مشيعيه والباكين عليه.

والعدو الثاني الذي أخشاه عليك لا يقل عن الأول هو الأولاد والأصهار والأقارب وجملة الحاشية والمستفيدين، يريدون منك الدور الفخمة، والسيارات الجيدة، والأموال

باستمرار، فإن أنت أعطيتهم فاستعد للمسألة جواباً، أضف إلى أن منحهم ما يريدون يزلزل عقائد الناس بالمرجع، ويجعل الالسن تتطاول عليه، وأهم من هذا وذاك أن بذخ الحاشية يشجع عناصر السوء والمغرضين وأهل الضمائر الميتة، فإنَّهم يحاولون تشكيك الناس بالدين فضلاً عن المرجع.

وقد عاصرت بعض الأعلام الأجلاء، ممن جمع صفات الكمال فلم يستطع المغرضون النيل منه إلاّ من هذا المنعطف.

والذي أراه لك يا بني إذا جعلك الله مرجعاً للمسلمين العيش بتقشّف مقتدياً بسيرة إمامك أمير المؤمنين عليه السلام فما وضع لبنة على لبنة ولم يهتد الطريق لمصفىٰ العسل ولباب القمح كما قال عليه السلام.

وبهذه السيرة يا بني تحد من أطماع الأتباع، فكيف يطلب ولدك منك داراً ودارك بلاستئجار، وكيف يطلب منك صهرك سيارة وسيارتك قدماك، تحمل يا بني مرارة العيش سنوات قليلة يعوضك عنها المولىٰ سبحانه وتعالى نعيماً دائماً وملكاً لا يزول.

وتذكّر حديث الإمام الصادق عليه السلام: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة وعليها كساء من جلة الابل، وهي تطحن بيدها، وترضع ولدها؛ فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما بصرها، فقال: يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقد أنزل الله عليّ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[1].

(١) مكارم الأخلاق: ١٢٢.

الدعاء

بني: احسبك وأنت تطلب من المولىٰ سبحانه وتعالىٰ قضاء بعض حوائجك وتبطىء عليك الإجابة فيلعب بك الشيطان، فاحببت أن أذكر لك ما أعرفه.

بني: يجب أن تهيىء نفسك وتؤهلها للإجابة فيكون ملبسك من حلال ومطعمك من حلال، وبانقطاع له سبحانه وتعالىٰ إلى شروط كثيرة ذكرها العلماء في كتب الادعية، ومع ذلك قد يستجاب لك سريعاً وقد تتأخر الاجابة، وربما لا تحصل لمصالح لا نعلمها.

وعلى سبيل المثال: روى أهل المقاتل: والتاريخ هذه الكرامة لسيد الشهداء عليه السلام: وأقبل القوم يزحفون نحوه وكان فيهم عبد الله بن حوزة التميمي، فصاح أفيكم حسين، وفي الثانية قال أصحاب الحسين هذا الحسين فما تريد منه؟ قال يا حسين أبشر بالنار. قال الحسين: كذبت بل أقدم على

رب غفور كريم مطاع شفيع فمن أنت قال أنا ابن حوزة، فرفع الحسين يديه حتى بان بياض إبطيه وقال اللّهم حزه إلى النار، فغضب ابن حوزة وأقحم الفرس إليه وكان بينهما نهر فسقط عنها وعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس وانقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقي جانبه الآخر معلقاً بالركاب واخذت الفرس تضرب به كل حجر وشجر حتى مات[1].

ودعا عليه السلام على عمر بن سعد فقال: وسلط الله عليك من يذبحك على فراشك، وكانت الإجابة بعد سبع سنين.

ومثلنا يا بني كطفل مريض أخذه والده للطبيب واشترى له الدواء ببضعة دنانير، وفي الطريق شاهد الطفل بعض المأكولات فأراد منها وأخذ يبكي عليها متصوّراً أن أباه لا يحبّه لمنعه منها جهلاً منه بحقيقة الأمر.

ونحن كذلك فربما ندعو للحصول على المال مثلاً ولعل فيه حتفنا. وندعو للحصول على دار ولعل فيها هلاكنا.

واعلم يا بني لو كان سبحانه وتعالى لا يرد دعوة داع،

---

(١) كامل ابن الأثير ٢٧/٤.

وطلب سائل لفنت البشرية، فكم من مرة تألمنا فيها من قريب أو بعيد فدعونا عليه بالفناء، وانك لا تكاد تسمع أم تخاصم إبنها إلاّ وتدعو عليه بالموت.

واعلمك يا ولدي لقد ورد أن الدعوة التي لا تستجاب لصاحبها يعوّضه الله سبحانه عنها أجراً كثيراً حتى يتمنى أن جميع ما دعا به في دار الدنيا لم يستجب له لما يعطاه من الأجر.

قال الإمام الصادق عليه السلام: إنّ المؤمن ليدعو الله تعالى في حاجة، فيقول الله: أخّرت حاجته شوقاً إلى دعائه، فإذا كان يوم القيامة يقول الله تعالىٰ: عبدي دعوتني في كذا فأخّرت اجابتك وثوابك كذا، ودعوتني في كذا فأخّرت اجابتك وثوابك كذا.

قال: فيتمنّى المؤمن أنّه لم يستجب له دعوة في الدنيا لما يرى من حسن ثوابه[1].

واسأل الله سبحانه وتعالى أن يختار لك الصلاح من الاستجابة والمنع، فإنك لا تدري أيّهما أقرب لك نفعاً والله ولي التوفيق.

---

(١) مشكاة الأنوار: ٢٨٨.

الحسين عليه السلام

بني: يقول العالم الرباني الشيخ جعفر التستري قدس الله نفسه في مقدمة كتابه (الخصائص الحسينية): إنّي أمعنت النظر في الوسائل المتعلّقة بالأئمة عليهم السلام فرأيت أجلّها فائدة، وأعظمها مثوبة، وأعمّها نفعاً، وأرفعها درجة، وأسهلها حصولاً، وأكثرها طرقاً، وأيسرها شرائط، وأخفها مؤونة، وأعمّها معونة، ما يتعلق بسيد شباب أهل الجنّة، ووالد الأئمة، السيد المظلوم أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فرأيت له خصوصية في التوسل إلى الله قد تفرّد بها.

وإذا كان الشيخ جعفر وهو هو في العلم والورع والزهد والتقوى لا يرى سبباً للنجاة إلا الحسين عليه السلام فأنت يا بني أولى أن تركب سفينته، وتتمسّك بحبل ولائه.

بني: عليك بزيارته صلوات الله وسلامه عليه في الأوقات المخصوصة، وفي ليالي الجمع، والاستمرار على

زيارة عاشوراء في كل يوم، وأرجو من الله سبحانه وتعالىٰ أن يوفّقك للكتابة عنهعليه السلام، وحبذا أن تكرّس جهدك لاخراج تأليف عن سيد الشهداءعليه السلام تاركاً حديث كربلاء لأنه اشبع بحثاً وكتابة فتتناول جوانب حياتهعليه السلام قبل يوم عاشوراء فقد أُغفل هذا الجانب مع ما فيه من سمو ورفعة.

وأملي بك يا بني الاستمرار على إقامة مجلسنا الاسبوعي في كل ليلة خميس، فقد بدأ هذا المأتم من عهد طفولتي، وبقيت مستمراً على إقامته بعد وفاة والدي رحمه الله عملاً بوصيته، وفي الأيام الأخيرة نظمت بعض المجالس فكنت اقرؤها قبل الخطيب، ولعلي أوّفق لإكمالها في كتاب يكون من بركة هذا المأتم(١).

(١) ولله الحمد والمنة، فقد كمل الكتاب وطبع مراراً وترجم.

الشعر

بني: إني أريدك عالماً لا شاعراً، والفرق بينهما عظيم، فهؤلاء سدنة المذهب، وحماة الشريعة، ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

وإذا استهواك شيطان الشعر ـ كما يقولون ـ فأحذر أن يشغلك عن دراستك، ويصرفك عن طريقك، واستغله لرثاء الأئمة عليهم السلام، فقد ورد عنهم صلوات الله عليهم: من قال فينا بيتاً من الشعر وجبت له الجنة، وإن دعتك ضرورة للاشتراك في حفلات حسينية فاجعل قصيدتك ولائية بحتة كما يصنع

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢٢٤ ـ ٢٢٧.

شاعر بغداد السيد محمد الحيدري حفظه الله في حفل مولد أمير المؤمنين عليه السلام في كربلاء، ولا بئس باستغلال مثل هذه المناسبات في توجيه الناس، والدعوة إلى الله سبحانه وتعالىٰ، والحذر يا بني أن تمدح وتذم أرضاء لعواطفك، أو لاعتبار آخر، وتذكر دائماً قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أضف إلى ذلك أنك سوف تسقط من عيون المجتمع، فقد لاحظت بعض الشعراء الكبار وقد مدحوا من لا ينبغي مدحه من الحكام وغيرهم فنبذهم المجتمع، ونزلوا من مراتبهم، ولا تعتذر يا بني بأنّك سوف تجمع بين طلب العلم ونظم الشعر كما فعل بعض أعلام الطائفة كالسيد المرتضىٰ والسيد الرضي رضي الله عنهما، فهؤلاء يا بني من القليل النادر جمعوا المكارم بأسرها، والكمالات كلها، فلا يقاس بهم أحد، والذي لاحظناه أن للإنسان طاقة معينة فإذا صرفها في جهة لا يستطيع أن يبدع في أخرى؛ نعم هناك من حصل على شيء من العلم ونظم الشعر وربما كانت لديه جوانب أخرى، ولكنه لم يبدع فيها جميعاً، وهذا مما لا ارتضيه لك، عصمنا الله وإياك من كبوة اللسان وزلة القلم.

فرصة العمر

أي بني: اغتنم فرصة العمر لعمل الخير، فإنّك إن ضيّعتها ندمت، وكل شيء فإنك يمكنك أن تستعيده إلا عمرك، فكل ثانية تمر عليك هي من عمرك، فإن ضيّعتها ضيعت عمرك.

تذكر يا ولدي كلمة سيدنا ومولنا أمير المؤمنين عليه السلام: نفس المرء خطاة إلى أجله.

وقول الشاعر:

دقّات قلب المرء قائلة له

إنّ الحياة دقائق وثوانِ

ونحن يا بني لو تصفّحنا الأحاديث عن مشاهد يوم القيامة، والأحاديث الواردة في ثواب بعض الأعمال أدركنا أهمية العمر وقيمته والخسارة في ضياعه.

وأنا اضرب لك مثلاً: من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لك وأشهد أن محمداً عبده ورسوله كتب الله له ألف حسنة[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: من قال في السوق: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله كتب الله له ألف الف حسنة[2].

والأخبار الواردة عن مشاهد القيامة وربما احتاج الإنسان إلى حسنة واحدة لتثقيل ميزانه.

إذا تأملنا هذا وذاك أدركنا أهمية العمر، وجريمة ضياعه في مجالس البطالين، أو الاشتغال بغير ما أمر الله به فعليك يا بني باستغلال عمرك لاسيّما وأنت لا تعلم من يكون قدومك على ربك.

واحذّرك أن يشغلك الشيطان بما لا ينفعك، واعلم أن عدو الله ربما يكتفي من المؤمن أن يكون بطّالاً فضلاً عن أن يدخله مداخل السوء والفحشاء، وأنت سلمك الله إذا تأمّلت

(١) أصول الكافي: ٤٠٨.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ٥٤٤.

ما ذكر عن نبي الله يحيى بن زكريا عليه السلام وسؤاله الشيطان: هل وجدت مني ثغرة يا أبا مرّة وجواب عدو الله: قدّم لك العشاء فحسنته لك، فأكثرت فقلّ تهجدك[1].

فمن هذا وغيره يُعلم أن الشيطان قد يكتفي من المؤمن بالبطالة وتضييع العمر.

بُني: لاحظت مراراً وأنا أكتب ويخلص الحبر وهناك أعجز عن كتابة كلمة واحدة وربما عن نقطة أضعها على الحرف، وكذلك عمر الإنسان فإذا انقضت مدته يعجز عن تأخير أجله دقيقة واحدة ويعجز معه جميع أطباء العالم.

وكتاب الله العزيز أكبر شاهد ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[2].

فينبغي إذن الحرص عليه وعدم تضييعه، والمبادرة إلى فعل الخير وعدم تأجيله، فكم شاهدنا وشاهد من كان قبلنا أناساً كانت لهم الآمال والأماني في عمل البر والاحسان فلم يبادروا إليها حتى جاءهم الاجلُ فخابت آمالهم، وذهبت أمانيهم.

---

(١) قصص الأنبياء (بتصرف).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

عبادة وأوراد

بُني: إني أريد منك أن تكون عالماً لا عابداً، لأنّ العابد ينفع نفسه، والعالم ينفع الناس، وقد ورد عن الصادقين عليهم السلام أحاديث كثيرة في فضل العالم على العابد أذكر لك منها:

١ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: عالم أفضل من الف عابد، وألف زاهد، ولعالم ينتفع بعلمه خير وأفضل من عبادة سبعين ألف عابد[١].

٢ ـ وقال الإمام الصادق عليه السلام: إذا كان يوم القيامة بعث الله عز وجل العالم والعابد، فإذا وقفا بين يدي الله عزّ وجلّ قيل للعابد: انطلق إلى الجنة، وقيل للعالم: قف تشفع للناس بحسن تأديبك لهم[٢].

---

(١) ثواب الأعمال: ١٣١.

(٢) علل الشرائع: ٢/ ٣٩٤.

٣ ـ وقال رسول الله ﷺ : ركعتان يصليهما العالم أفضل من ألف ركعة يصليها العابد[١].

٤ ـ وقال الإمام الباقر عليه السلام : عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد[٢].

٥ ـ وعن معاوية بن عمار قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام : رجل راوية لحديثكم، يبث ذلك في الناس، ويشدده في قلوبهم، وقلوب شيعتكم، ولعل عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية أيّهما أفضل؟

قال: الراوية لحديثنا، يشد به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد[٣].

ومع هذا كله يا بني لا أريدك للعلم فقط، بل أريد أن تجعل لك نصيباً في مناجاة ربك، والابتهال إليه، سائلاً منه الهداية، فكم من عالم ضل فكان علمه وبالاً عليه.

ولدي: لا تعتذر بأنّ العبادات المندوبة، والأوراد

---

(١) الفقيه: ٤/ ٢٦٦.

(٢) أُصول الكافي: ١٦.

(٣)المصدر نفسه.

المستحبّة، وقراءة القرآن الكريم، والأدعية مشغلة لك عن طلب العلم، وعائقة عن سلَّم الفضل، وأنت لا تدري أيّها أقرب لك نفعاً، فلعل هذا المستحب يسددك، وهذا المندوب يعصمك، فالعلم يا بني كما ورد (نور يقذفه الله في قلب من يشاء) وليس معنى الحديث أنَّك تمسي جاهلاً وتصبح عالماً، لا ولكن كم شخص تمر عليه عشرات السنين وهو متشاغل بطلب العلم، وحضور الدروس والابحاث ولكنه صفر الكف، فالتوفيق بيده سبحانه.

أريد منك يا بني قراءة كتب السيد إبن طاووس قدَّس سره، التي في الأدعية، والملازمة لمفاتيح الجنان للشيخ القمي رحمة الله عليه، فقد جمع فيه ما يغنيك عن غيره، اجعله رفيقك الذي لا ينفك عنك، فهو جُنّة وعصمة وثروة فكرية لا يستهان بها، وبالمناسبة أُشجعك على قراءة جميع كتبه التي تناهز المائة، وكلها في خط الإسلام وسيرة أهل البيت عليهم السلام.

بُني: اجعل لك وظائف من الطاعات تؤدّيها في الصباح، وأخرىٰ في المساء، مغتنماً فرصة العمر.

بُني: تطالعك في كتب الأدعية صور من كرم المولىٰ

سبحانه وتعالىٰ. وعلى سبيل المثال ما رواه ثقة الإسلام الكليني رفع الله درجته في أُصول الكافي: من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبدك ورسوله كتب الله له ألف حسنة، ومن قال في كل يوم عشر مرات: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً أحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، كتب الله له خمس واربعين ألف حسنة، ومحا عنه خمس واربعين ألف سيئة ورفع له خمس وأربعين ألف درجة.

وما رواه الشيخ الطوسي أعلا الله مقامه في مصباح المتهجّد: من زار الحسين بن علي عليه السلام في يوم عاشوراء من المحرم، يظل عنده باكياً لقي الله عز وجل يوم يلقاه بثواب ألفي حجة وألفي عمرة وألفي غزوة، إلى آلاف الأحاديث في مثل هذا، وبعض الناس يا بني ينكر مثل هذا الثواب، ومنشأ ذلك هو الجهل بكرم المولىٰ سبحانه ولطفه، وكيف يستطيع أحد أن ينكر هذا وقد رواه سدنة المذهب، وأساطين العلماء، وكيف تجحد مثل هذه الأخبار وهي من الكثرة بمكان حتى جمع منها رئيس المحدثين أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (الشيخ الصدوق) رفع الله مقامه كتابه (ثواب الأعمال).

وأنا يا بني لا يخامرني أدنىٰ شك في صحّتها، وقد كتبت كتابي (ثواب الأعمال وعقابها) أعتقاداً منّي أنها صدرت عن الرسول الأعظمﷺ وأهل بيته الصادقين صلوات الله عليهم اجمعين.

وتذكر يا بُني الحديث الوارد عن الإمام الصادقعليه السلام: من بلغه شيء من الثواب على شيء من خير فعمله كان له اجر ذلك وإن كان رسول اللهﷺ لم يقله[1].

فهو يكفي للمتعبّد.

وخليق بمن يطمع بعفوه وكرمه إبليس لعنه الله، معرفة منه بجوده وكرمه أن يجعل أكثر من هذا الثواب على طاعته، وفقنا الله وإياك لها بمنّه وجوده.

ولا يخفى عليك ما جاء في أحاديث الصادقينعليهم السلام في عقاب بعض الأعمال، ويكفي في ذلك الحديث الوارد عن أمير المؤمنينعليه السلام، قال: إنّ من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة[2].

---

(١) ثواب الأعمال ١٣٢.

(٢) معاني الأخبار: ٢٧٤.

الزواج

ولدي: إن استطعت الزواج في الخامسة عشرة من عمرك فحظك أصبت، والخير كله حصلت، ولا عبرة يا بني بقول البطالين: أن الزواج المبكر خطأ، ويشغل الإنسان عن تحصيل الأماني، ويعيقه عن تحقيق الأهداف.

وردّاً على هؤلاء: نحن نشاهد العظماء الذين بلغوا قمة المجد في جميع مجالات الحياة كانوا أصحاب زوجات وأطفال، وبعضهم تزوج مبكراً بينما نرىٰ أكثر الخاملين من العزاب. وأيضاً لاحظت في الزواج المتأخر: أنه يتزوج دون مستواه، وكلما تأخّر في الزواج هبط المستوى الذي سيقترن به.

ولدي: إن نبينا محمداً ﷺ الذي أُوتي جوامع الحكم، ووهب الله سبحانه له عقلاً وفكراً لم يهبه لغيره من المخلوقين، ويتفق معنا جميع العالم على عظمة محمد ﷺ

وجلالته حتى من لم يتعبّد بشريعته، فقد قال ﷺ: (من تزوج فقد أحرز نصف دينه فليتق الله في النصف الباقي[1].

وقال رسول الله ﷺ ما من شاب تزوج في حداثته إلا عج شيطانه: يا ويله يا ويله عصم مني ثلثي دينه؛ فليتق العبد في الثلث الباقي[2].

وناهيك بهذين الحديثين في الحث على الزواج، فليس لدى المسلم شيء أعز من الدين والزواج ـ بنص الحديث ـ حافظ للدين، وصائن له.

ولدي: قال لي أحد العرفاء من أهل العلم: هب أن الإنسان الأعزب يعصم نفسه عن المحرمات ولكن الغريزة تنبع عنده من مجال آخر.

وصدق هذا الحكيم يا بني فقد لاحظت الكثير من العزّاب وهو يشذ من بعض الجوانب.

---

(١) امالي الشيخ الطوسي ٣٣٠.

(٢) النوادر: ١٢.

تزوّج من محيطك

والزواج موضوع مهم في حياة الإنسان، بل هو أهم شيء في حياته، وينبغي للإنسان أن يفتش عن شريكة حياته ويختارها أحسن اختيار، ويطلب من الله سبحانه وتعالىٰ أن يوفقه لمرأة صالحة فالمرأة الموافقة للرجل تعدل الدنيا وفي الحديث الشريف: ما استفاد رجل بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله[1].

من هذا يتضح لك أهمية المرأة في نظر الإسلام، ولذا جعل للرجل الحق في النظر إليها، والتعرف عليها، واود يا بني أن تراها وتراك مسبقاً.

وأرى لك أن تتزوّج من بلدك ومن محيطك، فلكل

---

(١) مكارم الأخلاق: ١٠١.

بلد عادات، وفي كل محيط طبايع، فإذا كنتما من بلد واحد، ومحيط واحد كنتما أقرب إلى الائتلاف.

بُني: كنت في الحرم الشريف فسلم عليّ شاب سيد صبيح الوجه كأنه من آل بحر العلوم وعرّفني بنفسه، وأنه تلميذ لي سابق من بعض القرى ويقيم الآن في المدرسة الشبرية في النجف مشتغلاً بطلب العلم، ورجا مني أن أزوره؛ وفعلاً زرته وزارني في البيت أكثر من مرة، وفي بعض اللقاءات أخبرني بأنّه ينام صيفاً في الغرفة بعد أن يغلق المروحة ومتى عرق جسمه نامت عينه.

فلو قدر لهذا السيد أن يقترن بامرأة نجفية تعوّدت أن تنام في السرداب من الواحدة ظهراً حتى الخامسة، تنغّصت عليها بعض أسباب الحياة.

التوافق في السن

بني قد احسبك وأنت تقول: إنك قد اكثرت عليّ في موضوع الزواج.

وكذلك، ولكن موضوع الزواج يستدعي أكثر من هذا، فهو مهم جداً في حياة الإنسان، وله علاقة قوية بنجاحه وفشله في مجالات الحياة الأخرىٰ، وكما هو المثل المعروف: خلف كل عظيم امرأة.

ومن مهمات الزواج ـ حسبما أعتقد ـ توافق الزوجين في السن فليس من العقل أن يكون أحد الزوجين على أبواب الخمسين ويكون الآخر على أبواب العشرين.

نعم يفضل أن يكون الزوج يكبر الزوجة بقليل، فمثلاً ابن العشرين أن يتزوج من هي في الرابعة عشرة من عمرها، وإبن الثلاثين يتزوج ببنت الرابعة والعشرين مثلاً، ويقال: إن

المرأة يجب أن تكون نصف عمر الرجل زائداً سبع سنين والذي أراه أن تقارب السن مهم جداً بالنسبة لسعادة الزوجين، وأنّ الزوج يجب أن يكون أكبر من الزوجة بقليل.

زوجة واحدة

والإسلام يا بني رخّص في تعدد الزوجات ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ بشرط العدالة ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ وهذا التشريع العظيم لا مفر منه للبشرية، واني ساذكر لك بعض الموارد التي لا مفر منها من تعدّد الزوجات، وبغيره يكون البغاء.

١ ـ كوارث الحروب، فهي تحل بالرجال دون النساء، حتى أن المانيا بعد الحرب العالمية رخصت في تعدد الزوجات خلافاً لمعتقدها المسيحي الذي لا يسمح بذلك.

٢ ـ رجل شبق لا يستطيع الصبر في أيام العادة الشهرية، والولادة وما شاكل ذلك.

٣ ـ رجل شبق ابتلىٰ بامرأة باردة المزاج، وهذا يحدث دائماً.

٤ ـ رجل كره زوجته ولا يريد طلاقها رعاية منه لأولاده منها.

٥ ـ رجل مرضت زوجته ومنعه الأطباء من الاتصال الجنسي.

٦ ـ رجل تزوج بامرأة عقيم.

٧ ـ رجل تزوج بامرأة ليس لها قابلية الانجاب لأنها لا تطمث أبداً، وهذا منتشر، فإني أعرف اكثر من شخص تزوج بامرأة ظناً منه أنها سليمة ثم تبيّن له العكس.

وهناك موارد اخرى أكثر مما ذكرته لك فلهذا وغيره شرّع الإسلام تعدد الزوجات مشترطاً العدالة وأنا يا بني أتمنى لك زوجة واحدة تسعد بها وتسعد بك، فلا تفكر في غيرها، لأن تعدد الزوجات مقترن بمصاعب كثيرة، واخطار عظيمة قل من ينجو منها، فقد قال لي رجل له زوجتان: إنني أربي جيشين متعاديين، يشير بذلك إلى أولاده لأن الأمهات يزرعن العداء بين أولادهن وأولاد ضراتهن، وهناك مضار أخرى بتعدد الزوجات لا تغيب عنك.

قلّة الجماع

بُني: طلبت منك في الفصل السابق الزواج مبكراً، وذكرت لك بعض فوائده ومرجحاته، ولكنني في الوقت نفسه أنهاك عن كثرة الجماع لما فيه من هدم الصحة وضعف الجسد، وهناك أخبار كثيرة في ذلك، وأنت سلمك الله إذا عرفت الأوقات التي يكره فيها الجماع. كالليلة الأولىٰ من الشهر وليلة النصف منه، ومحاق الشهر ـ آخره ـ وعند نزول المطر وليلة الخسوف ويوم الكسوف إلى كثير غيرها فمضافاً لما في المقاربة في هذه الأوقات من الأضرار بالصحة هو تقليل للاتصال أيضاً.

بُني: ليس الاكثار من الجماع حراماً ولكني أحب لك جميع الكمالات، وأريد لك عمراً طويلاً مقروناً بالصحة لذا جمعت لك في وصيتي هذه بالأوامر التي وعد عليها المولى سبحانه وتعالى الجنة وحذرتك النواهي التي حذر منها

سبحانه عباده وأوعد عليها النار، ثم اردفت ذلك بما يحسن بك من الصفات وما يشينك منها، وأنا الآن أضرب لك مثلاً في ضرر كثرة الجماع: إنّ الملوك العباسيين قلّ من بلغ منهم العمر الاعتيادي وما ذلك إلاّ لافراطهم في الشراب والجماع، فقد كان لكل منهم عشرات الجواري بل المئات فكان لأنهماكهم في ذلك الأثر الكبير في تعجيل فنائهم، حتى أن المؤرخ الصولي قال في اخبار الراضي بالله العباسي وقد مات وهو في الثانية والثلاثين من عمره، وكان الجماع والشراب أعظم آفاته مع عشاء يديمه كل يوم على غير حاجة إليه[1].

(١) اخبار الراضي بالله والمتقي: ١٨٤.

البيت المستقل

بُني: إنّ أحد معارفي في بغداد بنى دار ضخمة على ضفاف دجلة، كسا حيطانها بالساج، وهي أحسن دار دخلتها طيلة حياتي، متّعه الله بها فإنّه أهل لمواهبه سبحانه وتعالىٰ لما يتمتع به من خلق ونبل وايمان وتواضع، فهو على ثرائه كأنه من سائر الناس.

لصاحبي هذا أربعة أولاد، أحدهم مهندس وهو اقدمهم صلة بي، وربما حدثته عن الزواج، ولا أنسى أني قلت له يوماً: إنك إذا سكنت مع زوجتك بدار بسيطة أفضل من أن تسكن مع أهلك في هذه الدار الفخمة.

هذه تجربتي في الحياة، ورأيي لا أحيد عنه، استغفر الله، لست أقول السكن في بيت بسيط وحدك أفضل من

قصر فخم على شواطىء دجلة، بل كوخ من سعف النخيل مع زوجتك أفضل من قصر ضخم على البحر الأبيض المتوسط.

بُني: من مساوىء البيت المشترك أن تخسر ود أهلك ـ وناهيك بها خسارة ـ كما تخسر عاطفتك مع زوجتك لما تسمع من كلام هؤلاء.

ولو عددت لك أضرار السكن مع الأهل لاحتجت إلى أوراق كثيرة، وخرجت عن سبيل الاختصار، ومع هذا كله فالذي أدين به لربي وأعتقده أن زواجك يا ولدي مبكراً وأنت في بيت أهلك، قبل أن تتسنىٰ لك دار مستقلة، هو خير لك من العزوبة، لأن بعض الشر أهون من بعض.

سكنى النجف الأشرف

ولدي: بودي أن لا تترك سكنى النجف الأشرف لما فيها من مميزات لا توجد بغيرها، فيها قبر أمير المؤمنين عليه السلام وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارته: من زار أمير المؤمنين عليه السلام عارفاً بحقه، غير متجبر ولا متكبر كتب الله له أجر مائة ألف شهيد وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبعث من الآمنين وهون عليه الحساب واستقبلته الملائكة، فإذا انصرف شيعته إلى منزله فإن مرض عادوه وإن مات تبعوه بالاستغفار إلى قبره؛ ومن زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتب له ثواب ألف حجة مقبولة وألف عمرة مقبولة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[1].

وفي النجف الأشرف يتضاعف ثواب الصلاة، بل

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ١٣٤. وهذا مقرون بالتقوى ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

حتى سكناها أجر عظيم ذكره العلماء في كتبهم، فعن كتاب مدينة العلم للصدوق: أنه سأل منصور ابن حازم من الصادق عليه السلام عن مجاورة النجف عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام وعند قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام فقال: إن مجاورة ليلة عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من عبادة سبعمائة عام، وعند قبر الحسين عليه السلام أفضل من عبادة سبعين عاماً، وسأله عن الصلاة عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام فقال: الصلاة عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام مائتا ألف صلاة وسكت عن الصلاة عند قبر الحسين عليه السلام(١).

ولا تستكثر هذا يا بني فمواهب الله سبحانه عظيمة، وعطاياه جسيمة، فهو يهب لاعدائه العمر الطويل والملك، فهذا فرعون موسى عليه السلام عاش أربعمائة سنة وغيره عاش أكثر منه، متنعماً بالملك والسلطان، مجاهراً ربه بالحاده وكفره.

وإذا كانت هذه مواهب الله سبحانه وتعالىٰ لاعدائه فلماذا لا يهب لأوليائه وأحبائه. إنّ هذا الثواب في الأحاديث المشابهة له هو لأجل الإمام عليه السلام.

---

(١) تحفة العالم: ١/ ٢٥٣.

من الاساطير الهادفة يا بني: إن شخصاً رأى الشيطان وهو في غاية الحزن والجزع فسأله عن سبب ذلك فقال: إني أغويت جماعة قليلة فقتلوا الحسين عليه السلام فدخلوا النار ولكن بسبب الحسين عليه السلام سوف يدخل ملايين الجنة، فماذا صنعت بنفسي.

هذه الاسطورة هي عين الواقع، فقد شاء المولىٰ جل اسمه أن يجعل أهل البيت عليهم السلاة والسلام مظهراً من مظاهر كرمه ولطفه وعطفه، فجعل أجراً عظيماً لمن زارهم، أو أقام مأتمهم أو اطعم في سبيلهم، وهكذا، ولا يغرك يا بني كلام الجهال في استكثار هذه العطاء الذي رواه العلماء الأجلاء، واطبق على صحته سدنة المذهب، فهؤلاء المنكرون لم يحيطوا بكرم المولىٰ سبحانه وتعالىٰ ولطفه، كما أنهم نسوا الروايات الواردة في عقاب بعض الأعمال، وكيفية عذابهم، ومكوثهم في النار أعاذنا الله وإياك وجميع المسلمين منها، وليس من المضمون أن تفي زياراتنا وسكنانا وغيرهما من الأعمال الحسنة، فقد تأكل سيئاتنا حسناتنا والعياذ بالله.

بُني: وليس في النجف فضيلة الزيارة والسكن فقط بل

هناك الحوزة العلمية التي أسسها شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي طاب ثراه من قبل عشرة قرون، ولا زالت تمد العالم الإسلامي بخريجيها، فمن العسير عليك يا بني الدراسة العلمية في غيرها، فالجو الدراسي، والاساتذة المجيدين، والابحاث العالية لا تتوفر في غيرها من المدن الدراسية.

وبودي أن انبهك بأن لا تترك النجف الاشرف بأن تنوب عن بعض المراجع في احدى المدن لأن ذلك يعيقك عن مواصلة دراستك وتأليفك، إلا اللهم أن تدعو الضرورة لذلك، فإذا رأيت أن الواجب الديني يحتم عليك ذلك فاوصيك أن تنتخب اساتذتك انذاك بنفسك، أي تواصل العكوف على قراءة كتبهم بإمعان وتدبر، فقد قرأت عن الكاتب الكبير عباس محمود العقاد: أنه انتخب اساتذته بنفسه، أي أنه قرأ كتبهم ومؤلفّاتهم فكأنه كان تلميذاً مستمعاً لدروسهم.

احذّرك الشيطان

ولدي: إنّ أعدى أعدائك هو الشيطان فاحذره ثم احذره واني لا أخشى عليك أحداً كما أخشىٰ عليك من الشيطان، وكيف لا أخشى عدواً يراك ولا تراه، يوسوس في الصدور، ويقلّب لك الأمور، وإذا أردت أن تنظر إلى صنع هذا الخبيث بالانسان فاقرأ القرآن الكريم لتعلم ما صنع بالأمم من الاغواء والاضلال حتى استوجبوا من الله تعالى الهلاك والدمار كقوم نوح عليه السلام وثمود وعاد وفرعون وقوم لوط عليه السلام وغيرهم كثير؛ ومع هذا يا بني فليس هو بقوّة قهّارة لا يمكن أن تغلب، وعد ولا يمكن أن يسحق، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[1].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٠.

والشيطان نفسه استثنىٰ عباد الله واولياءه من الغواية حيث يقول: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[١] ولو كان الشيطان يا بني قوة لا سبيل للتفلت منها، والتغلب عليها لبطل العقاب، وحاشا ربنا الرحيم أن يعذبنا على أمر لا نستطيع الانفكاك منه، والتخلص من شره.

نعم إنه يجد نقطة الضعف عند الإنسان فيسرع إليه منها فإذا وجد عنده حبّاً للمال حبّب إليه المكاسب المحرّمة، ومنعه من أداء الحقوق الشرعية، وإذا وجده كسلاناً عن أداء الطاعات المستحبة والعبادات المندوبة شجّعه على ذلك حتى يمشي معه إلى التهاون بالفرائض الواجبة.

وهكذا يصنع يا بني، ولذا حث الشارع المقدس على محاسبة الإنسان نفسه دائماً ليجد مواضع الخلل من نفسه فيسدها، والثغرات المفتوحة فيرمّمها، ولعل الحديث الوارد عنهم صلوات الله وسلامه عليهم: (فكرة ساعة خير من عبادة سنة)[٢] يشمل ذلك فيفكر الإنسان في عمله، فيستزيد

---

(١) سورة ص، الآية: ٨٣.

(٢) مصباح الشريعة: ٢٠.

من صالح الأعمال، ويقلع عن سيئها ويغلب كل منفذ للشيطان، ويستغفر عما بدر منه، فقد فتح الله سبحانه وتعالى لعباده باب التوبة دحراً للشيطان، ورحمة لعبده الضعيف، فهو سبحانه يغفر الذنوب جميعاً.

بني كلما امتدت بك الحياة كثرت حاجاتك التي تسأل بها ربك الكريم، وأنا أضرب لك مثلاً، فإبن العاشرة من عمره لا يسأل غير قوته وثوبه، وابن العشرين يسأله زوجة وداراً، وابن الثلاثين يسأله رزقاً فائضاً، وابن الاربعين يسأله تدبيراً لأولاده، وهكذا وأنا حسب تجربتي في الحياة أنك لو اقتصرت في المسألة منه سبحانه وتعالىٰ على أن يكفيك الشيطان فقد سألت منه الخير كله، وتعوّذت من الشر كله، وحتى الجنة التي هي غاية المؤمن وليس فوقها نعيم ولا تضاهيها نعمة، هي منوطة بأن يكفيك ربك من عدوّك الخبيث.

بُني: وينبغي أن لا يفوتني أن أذكرك بما ورد عن أهل البيت عليهم السلام: (اطرد الخبيث فإنه لا يعود) والخبيث هو الشيطان طبعاً، ومعنى الحديث انك إذا طردته أوّل مرة انصرف عنك صاغراً لا يطمع فيك بعد، فهناك ملايين غيرك يستجيبون له، فلماذا يصرف وقته معك، واوضح لك ذلك:

فلو حبب إليك عدو الله القمار ـ ولو بافلاس ـ وزجرته من أوَّل مرة انصرف عنك بلا رجعة ولا معاودة في هذا الأمر، أما إذا استجبت له لا سمح الله طمع بك حتى يجعلك من أعظم المقامرين.

وهذا يا بني مما جربناه وجربه غيرنا وأحذرك من أن يستزلك الخبيث إلى هوة فيعسر عليك حينئذ الخروج منها.

واعلم يا بني بأن عدو الله لا يأمر بالخمر والميسر فحسب بل هناك اساليب وخدع شتىٰ تفوت الحصر، فربما اغوى العبّاد بالوسوسة أو شبهها فاوقعهم في فخه علماً منه أنه لا يستجيبون له بغيرها. إقرأ بتأمل قوله تعالى حاكياً عنه: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[1].

(١) سورة الأعراف: الآية: ١٧.

الغيبة

وهذا البلاء ابتلىٰ به الأكابر فضلاً عن غيرهم من الناس، ذاهلين عن قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾وفي عقيدتي أن بعض الناس لولا ابتلائهم بهذا البلاء لقيل لهم: ادخلوا الجنة من حيث شئتم، ولكن الشيطان قاتله الله أتاهم من هذا الباب.

ولدي: حدثني شيخ قال: كنت في أيام شبابي ببعض المجالس وكنا نستغيب فالتفت إلينا رجل وقال: إذا أدخل الله سبحانه وتعالى الزناة في النار فقد تلذذوا وإذا أدخل السّراق فقد تمتعوا بأموال الناس، وان أدخل القتلة فقد قضوا على اعدائهم، لكنكم لو دخلتم النار فما الذي حصلتم عليه من عملكم؟

قال الشيخ: فكنا كنيام فانتبهنا.

ولدي: اطلب منك قراءة كتاب (كشف الريبة في

أحكام الغيبة) للشهيد الثاني طاب ثراه، فهو نعم الكتاب وكيف لا يكون كذلك وهو تأليف العالم العظيم.

بني: اقرأ هذا الكتاب بتدبّر وإمعان، ولا بئس بتكرار قراءته لتعلم حدود هذا الذنب، واسأل الله أن يعصمك منه ومن كل سوء بمنّه ولطفه.

بُني: أنا أذكر لك قصتين وقعتا لي مع عالمين جليلين عاصرتهما لتعلم احتياط أهل الدين وتجنّبهم لهذا المرض الخبيث.

بُني: في عام ١٣٨١هـ حصلت لي رغبة ملحة لزيارة الإمام الرضا عليه السلام، وكانت ظروفي غير مواتية، فكنت أقدم رجلاً وأؤخر أخرىٰ، وذهبت إلى آية الله الشيخ عبد الرسول الجواهري تغمده الله برحمته مستخيراً عنده لا قطع.

كان رحمه الله في بيته وعنده ولده الحجة الشيخ محمد تقي حفظه الله، وحدثني رحمه الله قائلاً: إنَّ شخصاً كان يذهب إلى إيران وعند مجيئه يقدّم لي بعض الهدايا البسيطة، ومرة كلفته على شراء سجادة من هناك وأعطيته الثمن، ولكنه انقطع عني ولم أحصل على السّجادة ولا المال. وبعد أن أكمل رحمه الله حديثه قرأ قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ

﴿ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ وتبيّن من كلامه أنه كان يأمل مني أن اتعرف على الرجل واستحصل منه المال، وقد فهم ولده قصده فاعتذر عني قائلاً: إنّ علياً لا يسعه التعرّف على هذا الشخص هناك.

والقصة الثانية يا ولدي عن سماحة آية الله المغفور له السيد محمد تقي بحر العلوم طاب ثراه، فمرة استغبت بعض الناس لمعاونته ومسالمته بعض الظالمين، فقال رحمه الله ربما يترجح عند هذا وأمثاله أنّ هذا العمل فيه فائدة، وخدمة، لا انه قادم على شيء محرّم.

وهذا يا بني الغاية في حمل عمل المسلم على الصحة، وخلق المبرّرات له، وترك غيبته.

وإذا علمت يا بني أن سامع الغيبة كالمغتاب، فيجب عليك أن ترد ذلك لتحصل على الأجر، ففي الحديث عنه ﷺ: من رد عن أخيه غيبة سمعها في مجلس رد الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا والأخرة، فإن لم يرد كان عليه وزره كوزر من اغتاب[١].

(١) عقاب الأعمال: ٢٨٥.

وعن أبي الدرداء: قال رجل في عرض رجل عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فرد رجل من القوم عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من ردّ على عرض أخيه كان له حجاباً من النار[1].

ومن المؤسف يا بني أننا نحافظ على أموالنا، ونبذل قصارىٰ جهودنا في وضعها في محل حريز، ونهمل حسناتنا وأعمالنا الصالحة فنقدّمها للآخرين مجاناً، فقد ورد أن المستغاب يأخذ حسنات المستغيب، فإن لم تكن للمستغيب حسنات دفع إليه المستغاب سيئاته فيأخذها راغماً.

فاحرص ثم احرص يا بني على حسناتك وحافظ عليها ولا يخدعك الخبيث فتقدمها لغيرك، فقد كان بعض الصالحين وقد كادت الكلمة تخرج من فمه فيمسكها.

وورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام وقد بلغه أنّ رجلاً استغابه فجاء إلى داره وهو يحمل طبقاً من الفاكهة، فتعجّب الرجل من ذلك وسأله عن السبب، فقال عليه السلام: بلغني أنّك أهديت إليّ حسناتك فأهديت إليك هذه الفاكهة.

---

(١) أمالي الشيخ المفيد: ص٢٠٨.

إيّاك والحسد

بُني: اتضح لك في كثير من فصول هذا الكتاب أنّ لعدوك الشيطان سبلاً كثيرة في الغواية، واشباكاً كثيرة يصيد بها إبن آدم، وأنت سلمك الله لو رأيت أشباك الصيادين واختلافها فهناك شبك للطير وآخر للعصفور وثالث للسمك، بل وحتى الاسماك نفسها فلها اشباك متعددة فقد احتال بها إبن آدم لصيد مختلف الأسماك.

وكذلك الخبيث فقد تعدّدت اشباكه لك ولغيرك وكما أن شبك الطيور لا يصيد الأسماك وشبك الأسماك لا يصيد العصفور وهكذا فكذلك طرق الخبيث، فالطريق الذي يغوي به العالم هو غير الطريق الذي يغوي به الجاهل، والطريق الذي يسلكه مع التاجر هو غير الطريق الذي يسلكه مع العامل وهكذا، ومن طرقه قاتله الله الحسد، وهو أن ترى

نعمة على اخيك المؤمن من مال أو ولد أو صحة وغيرها فتتمنى زوالها.

فأنت قبل كل شيء يجب أن تنظر إلى من هو دونك ـ كما علمنا الأئمة عليهم السلام.

وهذا طريق عظيم الفائدة لك، وبغيره تهلك، ولو قدر لك أن تملك الملايين فهناك من هو أكثر منك مالاً، ولو قدر لك أن تملك مدينة فهناك من هو أكثر منك عقاراً؛ تعوّد دائماً أن تنظر إلى من هم دونك، فلو قدّر أنك تشتكي مرضاً فانظر إلى الذين يعانون عدة أمراض.

وتذكر دائماً كلمة الإمام الهادي عليه السلام: الحسد ماحي الحسنات، جالب المقت[1].

وتذكّر أيضاً أنّ الحسد هو الذي أخرج إبليس لعنه الله من الجنة.

وأنت إذا علمت أن الدنيا قنطرة ونحن مجتازوها بسرعة وإناً الآخرة هي دار القرار فكيف يحسد الإنسان بها أحداً، وما قيمة الدنيا بأسرها حتى يحسد عليها.

---

(١) أعيان الشيعة: ٤، قسم ٣/ ٢٨٥.

بُني: أنا لا أدعوك إلى الخمول، بل اعمل ـ كما قال ائمتك ـ صلوات الله عليهم لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لأخرتك كأنك تموت غداً، وجد في العمل ولكن الجد شيء والحسد شيء آخر، فالحسد كما قلت لك هو تمنّي زوال النعمة من الآخرين، وإذا ارتفع به ـ نعوذ بالله ـ يسعى لزوال نعمة أخيه، فإن لم يتمكن مدّ لسانه نحوه بذكر عيوبه، إنّه يفتح عليه أبواباً كثيرة من طرق الشر هو في غنى عنها.

الأحزاب

بُني: ومما مني به زماننا من بين الأزمنة، وعصرنا من بين العصور هو وجود الأحزاب السياسية، واني لا احذرك من شيء كما احذرك منهم، وهم كما قال الإمام الشيخ محمد حسن كاشف الغطاء رحمه الله: الأحزاب كالمطايا تركبها الشياطين، وأنا مرّ عليّ عمر ليس بالقليل، ورأيت أحزاباً كثيرة، واستلم كثير منهم الحكم ودام فيه طويلاً، فما وجدت عند أحد منهم خيراً والله على ما أقول شهيد.

ووجدت أرخص شيء عندهم دماء البشر، وأنهم حين يقتلون وينكلون بخصومهم كالجزار حين يذبح اغنامه، لا تأخذهم رأفة.

وهم أكثر الناس تنكراً لمبادئهم حين يستلمون الحكم،

وأُقسم بالله العظيم إن أعظم ما أُصيب به العراق من الفتك والقتل والذل هو بسبب الأحزاب واهلها، ولا اشك في ارتباطهم بالمستعمر وإن تفوّهوا بالوطنية.

وما أدري هل الأحزاب في جميع العالم مثل احزابنا تمزق الوطن، وتقتل أبناءه، همها الوصول للحكم بأي وسيلة، أو أن العراق يختلف عن غيره من البلدان، ومن كلمات الإمام كاشف الغطاء رحمه الله: الأحزاب في الشرق داء وبالغرب دواء.

ولعل الحق معه رحمه الله فنحن نسمع عن احزاب الغرب الاستقامة وخدمة الوطن.

وكيف كان يا بني فإياك إياك أن تنتمي لحزب ما فتخسر دنياك وآخرتك وذلك هو الخسران المبين، وأنا لا أقول ما أقول إلا بعد العلم والخبرة، فقد رأيت الحزبيين ـ اذلهم الله ـ في تعب دائم وجهد جهيد، وقل منهم من يتنعم ويصل إلى الكرسي، بل الكثير منهم يُقتل أو يُبعد من وطنه، فينتقم الله منهم على يد أصحابهم، وأما في الآخرة فلا أشك أنّهم في جهنم، هي مأواهم وبئس المصير، وكيف أشك وبعضهم بنى أفكاره على الإلحاد، وأن الدين أفيون

الشعوب، ومن لم يقل منهم ذلك فنظرته إلى الدين وتعاليمه نظرة سخرية وازدراء، واسأل الله العلي القدير أن ينجيك واخوتك من شرهم وأن يعصمكم من أن تقعوا في فخهم، وتتدنسوا بأثيابهم، وتتلوثوا بأفكارهم.

بطاقات اليانصيب

تمهيد:

وقد يستغرب القارىء العزيز من انتقالي في الحديث من طلب العلم، والمرجعيّة إلى بطاقات اليانصيب، التي لا يشتريها إلا السذّج من الناس، ولكنّها تجاربي في الحياة، ونصائحي للمجتمع.

ومنذ ثلاثين سنة[1] وحتى الآن وبطاقات اليانصيب لانشاء المستشفيات ـ فيما يزعمون ـ في انتشار غريب، وقد تعددت أنواعها وأسعارها وأرباحها المزعومة، وأنا لا أدري هل الحكومات عاجزة عن إنشاء المستشفيات حتى تستعين بالبطاقات، وأنا لم أجد أي أثر لهذه المستشفيات المزعومة مع أن الملايين التي اخذت من الكادحين تكفي لانشاء

(١) كتب هذا الكتاب قبل ثلاثين سنة تقريباً.

مستشفيات فوق سطح القمر فضلاً عن الأرض وأغرب من ذلك أنَّ كثرة اخواني وزملائي الذين يقتنون هذه البطاقات لم يربح واحد منهم مع ملازمتهم الشراء.

ويزعم بعض هواة البطاقات أنهم يتبرعون للمستشفيات وكذبوا في دعواهم، والدليل على كذبهم لو قدر وجود صندوق في الشارع للتبرع للمستشفيات هل يضع هؤلاء فيه فلساً واحداً فضلاً عن المبالغ الكبيرة التي يشترون بها هذه البطاقات.

ولدي إن هذه البطاقات مضافاً لحرمتها الشرعية[1]، فيها مضار كثيرة، فمنها: تبذير للمال، واشغال للفكر، والعيش في الخيال، فهو ينتظر أن يربح ليشتري داراً وسيارة الخ.

وأحسب أنّ أعظم مضار هذه البطاقات هو ركود الهمم، وجمود العقل، فبدلاً من أن يفكر في الابداع وايجاد موارد جديدة للرزق يبقى يسبح في عالم الخيال والأوهام بانتظار العشرة آلاف الموهومة ليشتري ويشتري.

---

(١) عندي فتاوى للعلماء في حرمتها.

ولو فرضنا ـ وفرض المحال غير محال ـ أن يربح هذا المنحوس العشرة آلاف لأرجعها إليهم من جديد بالانهماك بشرائها فقد أصبح بعضهم والعياذ بالله يطوف البلدان مشترياً من هذه البطاقات ليحصل على أكبر عدد ممكن منها وبأرقام متفاوتة وهو لا يعلم أنه خسر عمره وصحته وذلك هو الخسران المبين.

الأخلاق الحميدة

ومن العجيب أن يغفل الناس عن التخلق بالأخلاق العالية، مع مالها من الأثر الكبير في الدنيا والآخرة.

ففي الدنيا: الحب، والثناء، وتمشية الأعمال، وفي الآخرة: المنازل الرفيعة، والرتب السامية.

وجاء في الحديث الشريف:

١ ـ قال رسول الله ﷺ: عليكم بحسن الخلق، فإنّ حسن الخلق في الجنّة لا محالة، وإيّاكم وسوء الخلق، فإنّ سوء الخلق في النار لا محالة[١].

٢ ـ وقال رسول الله ﷺ: أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم خلقاً، وخيركم لأهله[٢].

---

(١) عيون اخبار الرضا: ٢/ ٣٠.

(٢) المصدر: ٢/ ٣٧.

لا تفعل المكروه

بُني: في الشريعة الإسلامية واجب ومحرم ومستحب ومكروه ومبّاح.

فالواجب: هو الذي أمرنا الله تعالى به، وبتركه يعاقبنا، كالصلاة والصيام.

والمحرم: ما نهانا عنه وبفعله يعاقبنا، كالخمر والزنا.

والمستحب: يثيبنا على فعله ولا يعاقبنا على تركه، كصلاة النوافل وصيام شعبان.

والمكروه: يثيبنا على تركه ولا يعاقبنا على فعله، فمن ذلك: كثرة الأكل والأكل في الأسواق.

والمباح: ما أذن فيه الشارع، كتناول مختلف الأطعمة والأشربة.

وقد جربت يا بني أن في المكروه اذى عاجلة أو آجلة

وعواقب وخيمة، وأنا أذكر لك على سبيل المثال لا الحصر أن تناول الأطعمة باكثار مكروه، وبطبيعة الحال يسبب الأمراض وبين أيدينا كلماتهم صلوات الله عليهم في النهي، ويكفينا قول رسول الله ﷺ : ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه.

ولا يختلف الأطباء بأجمعهم في ذلك، وقد جربنا ذلك بأنفسنا.

وأنا أوصيك يا بني بأن تلزم نفسك على ترك المكروه، ولا تتصوّر أنّ في ذلك صعوبة، بل في ذلك فوائد كثيرة لك وإن الشارع المقدس إنما كرّه بعض الأمور لضررها عليك لا لفائدته ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[1].

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٢.

فلتكن أعمالك كلها طبقاً لما أمرت به

بني لا يغيب عن ذهنك أن الإسلام يختلف عن المسيحية، فالمسيحية ارتباطها بالمسيحي أن يحضر الكنيسة يوم الأحد ويدق الناقوس على رأسه ثم يخرج فيعمل ما يشاء.

أمّا الإسلام فنظام شامل لجميع الحياة وسأوضّح لك بعض التوضيح فالمولود حين يولد يؤذّن في أُذنه اليمنى ويقام في اليسرى، وحين يحتضر تقرأ عنده سور من القرآن الكريم وبعض الأدعية، وحتى بعد الموت فهناك واجبات ومستحبات تعمل له، كل ذلك ليتفهم كل منا أنّه من بداية حياته وحتى نهايتها مرتبط بنظام معيّن ـ نظام السماء، يجب أن لا يحيد عنه، نظام في البيت، ونظام في المدرسة، ونظام في السوق، ونظام في العمل، ونظام مع الناس، ونظام ونظام إلى مئات الأنظمة التي يربتط بها المسلم.

بُني: لقد علّل أحد المفكرين علة الطواف حول الكعبة المعظمة: أن الله سبحانه وتعالى يريد من المسلم أن تكون أعماله كلها في مدار الإسلام، ووفق قانونه، فهو يريد منه أن يراقب الله سبحانه وتعالى ويعمل بأوامره في كل صغيرة وكبيرة، كما وأن القرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾.

والذي أريده منك، بل يريده منك مولاك جلّ جلاله أن تراقبه في كل حركة وسكون وعند كل عمل، وإلى هذا اشار سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾، فهو لا يريد الصلاة مجردة، وإنما يريدها تنهى المسلم وتعصمه من كل قبيح.

الخير عادة والشرّ عادة

بُني: أغلب أعمالنا الحسنة والسيئة هي نتيجة العادة التي اعتدناها، والإنسان بطبيعته ينجر دائماً إلى ما تعوّد من خير أو شرّ، وقد يعلم الكثير منا أنّ عادته سيئة ولكنه لا يتمكن من تركها، وأنا أذكر لك على سبيل المثال: أنا من صغري لم أتعوّد على التدخين وشرب القهوة ولكني أشرب الشاي، وطالما سبب لي الشاي الأرق ومتاعب أخرى لكنني لم أتمكن من تركه نتيجة لعادتي.

فيا ولدي تعوّد من صغرك على العادات الحسنة، والسجايا الجميلة، وإيّاك أن تتعوّد على ما يشينك في الدنيا والآخرة.

وأزيدك يا بني علماً أنّ كثيراً من الناس يأتي

بالمستحبات نتيجة لما تعوده من بداية حياته، كما أن آخرين يرتكبون المحرمات فضلاً عن المكروهات نتيجة لذلك أيضاً.

فالله الله في نفسك فإنّها أعز الأنفس عليك، فاختر لها أحسن العادات.

إيّاك والشكوىٰ

يا بُني: تجاربي كثيرة في الحياة، وأنا أحب أن أنقلها إليك ولا أدري مدىٰ قبولك لها، واعلم رعاك الله أني دفعت ثمناً غالياً لهذه التجارب، وأي ثمن أعظم من الحياة، خصوصاً دور الشباب.

لقد خسرت حياتي ـ وأعظم بها خسارة ـ نتيجة لجهلي بهذه التجارب، وأنا الآن أسوقها إليك بلا ثمن، وأملي أن يعينك سبحانه وتعالىٰ على العمل بها.

بني: من قبل سنوات كنت أشعر أحياناً بألم بسيط في الجهة اليمنى تحت الثدي ، وأسرعت إلى الأطباء. وبعضهم اخصائيون في بغداد، واكدوا على سلامتي من كل مرض، ولكني لم أنفك من الشكوىٰ والمراجعة، وكنت اتخوف

الكبد ونحوه، وكنت اجيب من سألني عن حالي بأن عندي كبد، كأنني الطبيب المختص.

واليوم وقد أصبح هذا المرض حقيقة لا تقبل الغلط، أصبح الألم أضعافاً مضاعفة، وأنا اكتب لك هذه السطور مفكراً في السفر إلى الخارج للعلاج.

وأغرب من هذا يا بني كنت دهراً طويلاً ووزني ٨٨ كيلو غرام، وربما أزداد نصف كيلو، وهو بالنسبة لطولي أقرب إلى الاعتدال، ولكن شكاتي من السمنة كانت أعظم بكثير من شكايتي من الكبد، وكان بعض اخواني يؤكد لي بأنّي غير بادن وأني معتدل الجسم.. ولكن لم أنفك من الشكوى اتدري ما حدث؟ لقد فوجئت يوماً ووزني ١٢٠ كيلوغرام على غير تبديل وتغيير في المأكل. فإيّاك ثم إيّاك والشكوىٰ، عملاً بأخبار الأئمة عليهم الصلاة والسلام، فإنهم طالما نصحوا اصحابهم رضوان الله عليهم بترك الشكوىٰ، علماً منهم صلوات الله عليهم بما يؤول إليه أمر الشاكي من زيادة البلوىٰ، وربما كان بالشكوىٰ اعتراض على تدبير المولىٰ جلّ شأنه، وعدم التسليم لقضائه.

بُني: كيف يشكو الإنسان، وهو بتدبير عالم حكيم،

يفعل ما يصلح العبد وإن خفي على العبد وجه المصلحة والحكمة، ولكنها يا بني من منافذ الشيطان، وما أكثر منافذه وسبله المشرعة إلينا، وأسأل الله الكريم أن يعصمنا وإيّاك وجميع المؤمنين من لمزه وهمزه إنه حميد مجيد.

الصديق

وهذا يا بني موضوع ذي حدين، فإن حصلت على صديق صالح يرشدك بكلامه، ويعلمك بأفعاله، يجهد لك في النصيحة ويعينك عند الحاجة، يكتم اسرارك، ويسدد خطواتك، فقد ظفرت يا بني بالدنيا بأسرها.

وإن كان الصديق ـ والعياذ بالله ـ فاسقاً أو جاهلاً أو غاشاً، ومثل هذا الصديق ربما يخسرك الآخرة فضلاً عن الدنيا.

وحسب تجاربي يا بني أن تقتصر على المجاملات الاجتماعية مع الناس، وتسلك معهم جميعاً مسلك الاحترام والاخلاص والمساعدة، وفي هذا الوقت تفتش أنت عن الصديق من بين هؤلاء فإذا ظفرت به فاشدد يديك عليه ولا تضيّعه واقتصر على الصديق الواحد، لأن كثرة الأصدقاء مع صلاحهم مشغلة للمرء عن الرقي والتقدم، لأن لكل إنسان

طاقات محدودة، وإمكانيّات معيّنة لا يستطيع تجاوزها، فإذا ضيّعها في المجاملات وأداء حقوق الأصدقاء فمتى يتفرغ للدرس والتأليف والعبادة.

بُني جاء في وصية الإمام الحسن عليه السلام لجنادة بن أبي أمية: وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا اردت معونة اعانك، وإذا قلت صدق قولك، وإذا صلت شد صولتك، وإذا امددت يدك بفضل مدها، وإن بدت منك ثلمة سدها، وإن رأىٰ منك حسنة عدّها، وإن سألته أعطاك، وإن سكت عنه ابتداك، وإن نزلت بك احدى الملمات واساك، من لا يأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منقسماً آثرك[1].

(١) أعيان الشيعة ٤ ق١/ ١٠٥.

العزلة

كثر الحديث يا بني عن العزلة والاختلاط واختلاف آراء الحكماء، وهناك أخبار عن أهل البيت عليهم السلام في العزلة اذكر لك منها:

١ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام صاحب العزلة متحصّن بحصن الله تعالى، ومتحرّس بحراسته، فيا طوبىٰ لمن تفرّد به سرّاً وعلانية[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله أحب الناس إلي منزلة رجل يؤمن بالله ورسوله ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة ويعمر ما له ويحفظ دينه ويعتزل الناس[2].

وقال معروف الكرخي للإمام الصادق عليه السلام أوصني يا

(١) مصباح الشريعة: ١٨.

(٢) كتاب التحصين: ٢٢٦.

ابن رسول الله قال: أقلل معارفك قال: زدني قال: انكر من عرفت منهم قال: زدني قال: حسبك[1].

وهناك أوامر منهمعليهم السلام لبعض أصحابهم بالاختلاط بالناس فالإمام الصادقعليه السلام يطلب من بعض اصحابه أن يجلس في المسجد ويفتي الناس.

والذي أذهب إليه يا ولدي أنّ في العزلة فوائد كثيرة، وصيانة للدين، وتجنبا لكثير من المحارم والمآثم كالغيبة وشبهها، وتفرغاً للطاعة وتجنّباً من الحقوق التي تفرضها طبيعة الاتصال، إلى كثير من الفوائد، كما أنّ في الاتصال بالمجتمع يتحقق الاصلاح والتوجيه والارشاد.

فإن كنت ممن يمكن أن يستفيد منك الناس اصلاحاً وتوجيهاً فخالط الناس واحضر مجالسهم، وشاركهم في أفراحهم واحزانهم، على أن لا تنس نصيبك في الخلوة بربك ومناجاة خالقك.

وإن كنت يا بني لست من فرسان هذه الحلبة فاحثّك ثم احثّك على العزلة، وتقسيم وقتك: فساعة لربك، وأخرىٰ لكتبك، وثالثة لأهلك، وأسأل الله لي ولك السداد والتوفيق.

---

(١) كتاب التحصين: ٢٢٦.

عمر طويل

جبل الإنسان على حب العمر الطويل، فالشيخ الهرم يسرع إلى الطبيب عندما يشكو شيئاً، وربما سخر منه بعض الأحداث متصوّراً أنّ من عاش هذا العمر يجب أن يفرح بالموت، ولكن هذا الساخر نفسه لو امتد به العمر لكان هذا شأنه أيضاً.

وهذا الموضوع يا بني متشعّب الجوانب فيمكن بحثه من الناحية الطبية، لأن طول العمر دليل على الصحة، والصحة من مجالات الطب، ويمكن بحثه من الناحية الدينية لأن ليس هناك صغيرة أو كبيرة يمر بها الإنسان إلا وللدين فيها رأي ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[1] كما يمكن بحثه

---

(١) سورة يس، الآية: ١٢.

من زوايا اخرى.

وأنا يا ولدي اسجل لك ما أعرفه.

إنّ الاقتصاد في المأكل والمشرب يساعد على الصحة، وينفي المرض، وبانتفاء المرض يطول العمر، وهذه حقيقة طبية، لا يختلف فيها إثنان، وقد أشار إليها الدين قبل الطب: ﴿**كلوا واشربوا ولا تسرفوا**﴾ خصوصاً العشاء فالاقلال منه يعطي الجسم حيوية ونشاطاً.

وقد أجمع الأطباء على أن المنبهات كالسكاير والشاي والقهوة تهدم الصحة، كما أن الأطباء اجمعوا على أن الخمرة تسبب عشرات الأمراض كالقلب والقرحة وتصلب الشرايين والشلل وغيرها كثير، وكل واحد من هذه الأمراض يهدم العمر فضلاً عن الصحة.

ومن زاوية الدين: فقد ورد أن صلة الرحم تزيد في العمر وفي الخطبة الكبيرة للزهراء عليها السلام (وصلة الأرحام منسأة في العمر[1] وزيادة في الرزق).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: صلة الأرحام تزكي الأعمال،

---

(١) منسأة في العمر: زيادة وامتداد.

وتنمي الأموال، وتدفع البلوىٰ، وتيسر الحساب، وتنسي في الأجل[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: صلة الأرحام تهوّن الحساب يوم القيامة، وهي منسأة في العمر، وتقي مصارع السوء، وصدقة الليل تطفي غضب الرب[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيّرها الله عزّ وجّل ثلاثين سنة، ويقطعها وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فيصيّرها ثلاث سنين، ثم تلا عليه السلام: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: صلة الرحم تزيد في العمر، وتنفي الفقر[4].

كما أن للصدقة أثر غريب في دفع البلاء، فقد ورد أنها تدفع البلاء وقد أبرم إبراما.

---

(١) أُصول الكافي: ٣٨٣.

(٢) أُصول الكافي: ٣٨٧.

(٣) امالي الشيخ الطوسي: ٣٠٦.

(٤) النوادر: ٢.

وقد جربت يا بني ذلك كثيراً.

ووقاية من أخطار الطريق ووسائط النقل اكتب باصبعك على السيارة (لا تخاف دركاً ولا تخشىٰ) فهي أمان إن شاء الله، وبحكم عملي في كثرة السفر، فقد دفع الله عني عدة حوادث ببركة هذه الآية الكريمة.

وتجنباً من العين الضارة فاقرأ عند النوم المعوّذتين فلا تصيبك بإذن الله تعالى، وقد ذكر ذلك الكفعمي رحمه الله بعد أن تحدث عن هذا الخطر العظيم، ونقل قصصاً عن ضحايا هذا البلاء.

لــــي

بُني: جميع ما ذكرته من نصائحي هذه هي لك، ونفعها يعود عليك، استغفر الله، بل أنا شريكك فيها، فمن كرمه سبحانه وتعالىٰ جعل للآباء نصيباً في كل خير يعمله الأبناء، من دون أن ينقص من اجر الأبناء.

وقد وردت أحاديث كثيرة عن أهل البيت عليهم الصلاة والسلام في ذلك، فعنه ﷺ مرّ عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يعذّب صاحبه، ثم مرّ به من قابل فإذا هو ليس يعذّب، فقال: يا رب مررت بهذا القبر عام أوّل فكان صاحبه يعذّب، ثم مررت به العام فإذا هو ليس يعذب؟

فاوحى الله جل جلاله إليه: يا روح الله إنه ادرك له ولد

صالح فأصلح طريقاً، وآوىٰ يتيماً، فغفرت له بما عمل ابنه[1].

فإذن كلما سجلته يعود نفعه لي ولك، بل إن اعمالك الصالحة يثاب بها حتى اجدادك.

بُني: أحب أن تستمر إن شاء الله على عمل بسيط لا أزال مستمراً عليه من سنوات طويلة، وهو إفطار الصائمين في شهر رمضان المبارك، حتى أني عام ١٣٩٢هـ كنت مديناً بالآف الدنانير ولم أقطع ذلك لما ورد عن النبيﷺ: من فطّر صائماً كان له مثل أجره من غير أن ينقص منه شيء، وما عمل بقوة ذلك الطعام من برّ[2].

ولدي: لا أريد أن أشق عليك إعداد طعام لجماعة من المؤمنين، رغم أن ثواب ذلك عظيم، فقد ورد عن الإمام الصادقعليه السلام أيما مؤمن اطعم مؤمناً ليلة من شهر رمضان كتب الله له بذلك مثل اجر من اعتق ثلاثين رقبة، نسمة مؤمنة، وكان له بذلك عند الله عز وجل دعوة مستجابة[3].

---

(١) روضة الواعظين: ٢/ ٤٢٩.

(٢) مصباح المتهجد: ٤٣٣.

(٣) ثواب الأعمال: ١٣٦.

وأنا أخفف عليك وأطلب منك ما كنت اصنعه وهو توزيع قطع الحلوى في الصحن الشريف وقت الافطار على جماعات المصلين، مستمراً عليها طيلة شهر رمضان في كل عام.

واسأل الله لي ولك التوفيق

الفهرس